أمثلة من الترجمة

Reinhard Kleist
Der Traum von Olympia.
Die Geschichte von Yusuf Omar
Graphic Novel

Carlsen Verlag, Hamburg 2015
ISBN 978-3-446-24018-6

7-21 صفحات

Reinhard Kleist

حلم الأولمبية، قصة سامية يوسف عمر

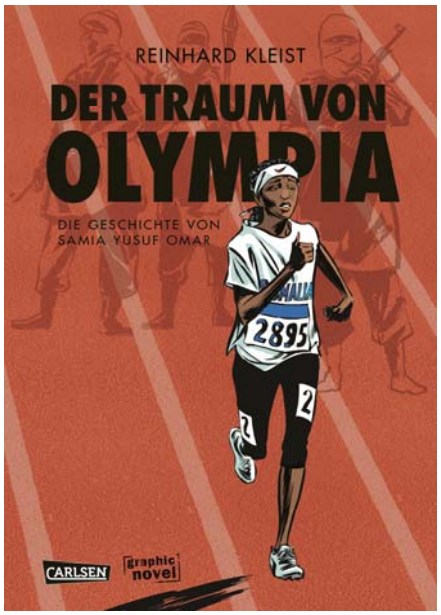

© 2015 Litrix.de

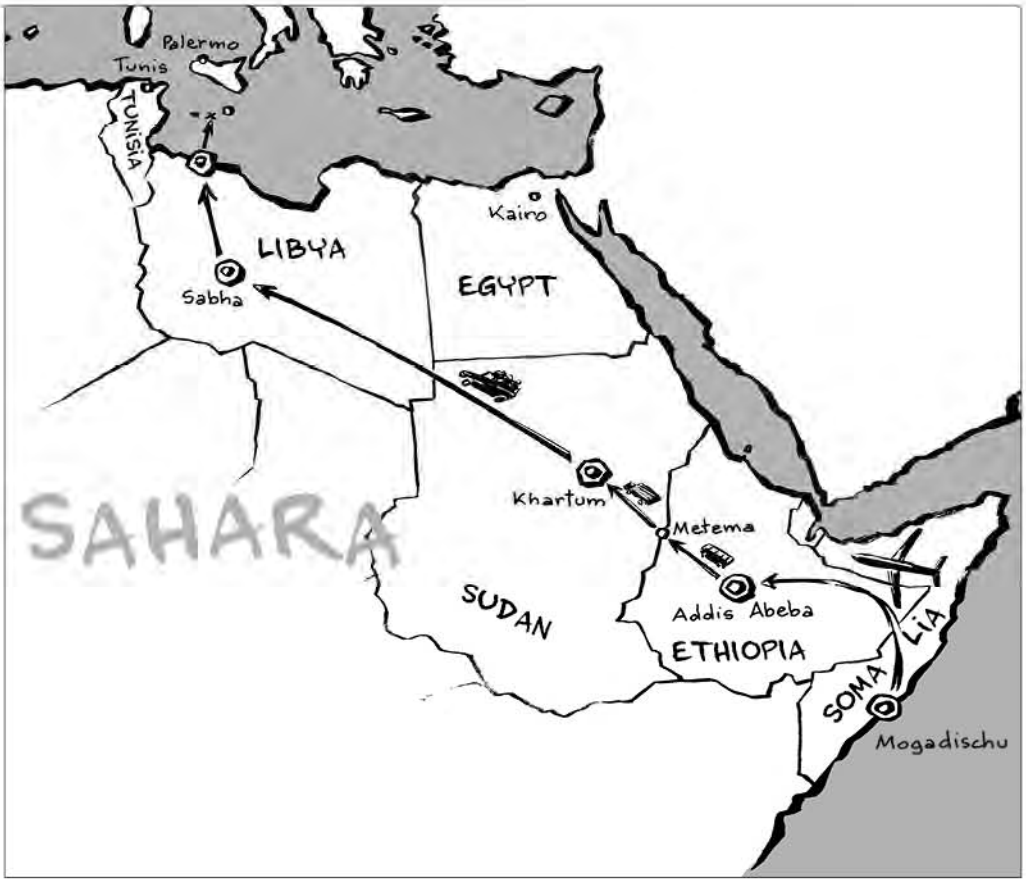

© 2015 SelfMadeHero, London

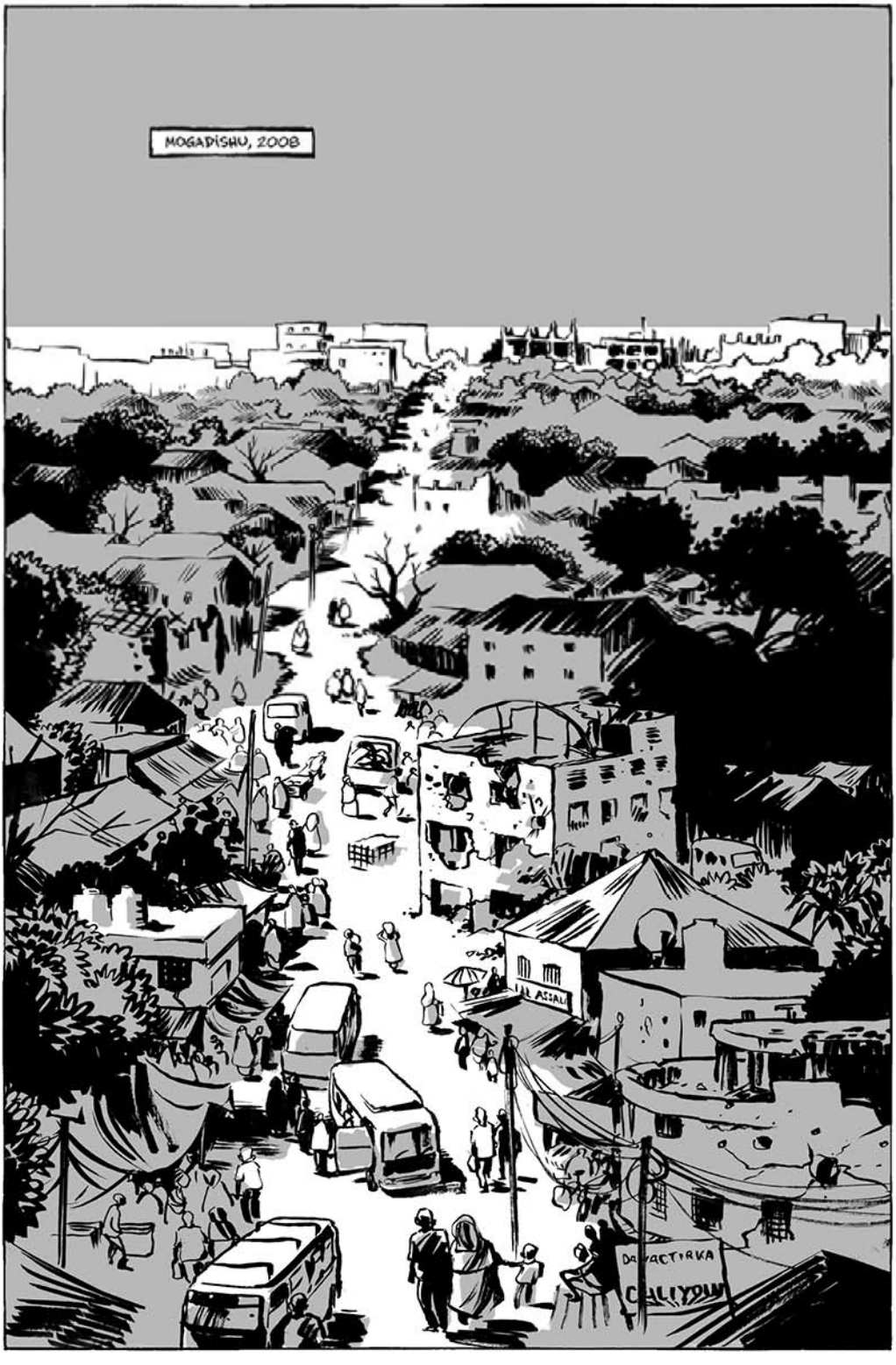

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

© 2015 SelfMadeHero, London

مقدمة

نكاد يوميًا نأتي اثناء تصفح الصحف—وغالبًا على هامشها—عبر خبر عن غرق أناس في عرض البحر المتوسط أثناء محاولة الوصول إلى أوروبا، إنطلاقًا من ساحل افريقيا، في مراكب مطاطية عبثية، أو في صحبة تجار أرواح يفوق الطلب عليهم إمكانياتهم. في غالب الأحيان لا يقرأ المرء الأعداد—عشرة كانوا، أم عشرين أم مئات من الأموات. لما إذن تلح علينا حكاية سامية يوسف عمر بهذا الشكل ولا تفارق أذهاننا، مقارنة بحكايات آلاف من الآخرين الذين انتهت حياتهم بهذا الشكل المروع؟

منذ أن قرأت كتاب "نهاية رحلة انقاذ" لإلياس بيردل أصبح موضوع سياسة اللجوء وشؤن اللاجئين لا يفارق ذهني. فقضيت في أكتوبر ٢٠١٢ شهرًا في بالرمو بغرض البحث في الأمر. وقد هالني ما عايشته وما توصلت إليه هناك، ما بين إخفاق الدول وممارسات العبودية التي نجني في بقاع أوروبا الأخرى ثمارها المختلفة، مثل ما نتمتع به من أسعار الفاكهة والخضروات غير المكلفة. عندما عثرت على حكاية سامية يوسف عمر، تمكن وقعها المأساوى من نفسي. واستطعت من خلال مساندة الصحفية تيريزا كروج الني ربطتها صلة صداقة بها، أن أتحدث شخصيًا إلى أختها هودان يوسف عمر، التى نجحت في عام ٢٠٠٦ في الهروب إلى هلسنكي. وقد اتاح لي التواصل معها نظرة قريبة على حياة أقاربها في مقديشيو وعلى المأساة التي نتجت عن تمزيق الأسرة. وعلى الرغم من الجرح الذي ما زال ينبض في نفسها إثر موت أختها، فقد أيدت فكرة أن أروي قصة أختها من خلال رواية مصورة. وكان موقفها ذلك في غاية الأهمية بالنسبة لي.

لقد حرصت سامية يوسف عمر أثناء رحلتها على التواصل مع الأصدقاء والأسرة من خلال موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك. وإن تم لاحقًا محو مدوناتها التي لم تعد متاحة اليوم. وتخدم الأخبار المنقولة عبر الفيسبوك في هذا الكتاب غرض نقل المعلومات للقارئ، وقد قمت لهذا الغرض بتأليفها، فيما عدا تلك الاستغاثة من طرابلس التي وجهتها سامية يوسف عمر إلى تيريزا كروج.

هناك العديد من أحداث الرحلة التي دامت قرابة عام بأكمله، ما لا يمكن تتبعه أو إعادة ترتيبه دون شك، وهو ماجعلني الجأ إلى تقارير لاجئين آخرين لاستكمال بعض المواقف، أو لتشكيل بنائها في أحيان أخرى. واعتمدت في ذلك على قدرتي على التصور، فيما يتعلق بكيفية تصرف البشر في مواقف معينة، والتداعيات المنطقية لتصرفاتهم تلك، وبما قد يدور في ذهن إنسان أو يعتريه من مشاعر في موقف بعينه. وإن ظلت أحداث كثيرة خارج نطاق استيعابي بحكم نشأتي الأوروبية المحمية.

أتمنى أن أكون قد أعطيت سامية يوسف عمر بكتابي هذا شيئًا من حقها، و أن تؤدي حكايتها إلى أن يظل وعينا يقظ تجاه الأخبار الهامشية المتعلقة بسياسة اللجوء في وسائل الإعلام، والتي تمس في النهاية أقدار بشر، وألا يغيب عن أذهاننا أن الأعداد المذكورة متعلقة بأرواح .

راينهارد كلايست

"الشباب": حركة إسلامية عسكرية في الصومال، تهدف لإنشاء دولة إسلامية وإلى الجهاد على مستوى العالم. وتستمر حتى اليوم بعد عقود دامت فيها الحرب الأهلية الاشتباكات المسلحة مع قوات الحكومة في جنوب ووسط البلاد. وتسود في المناطق التي تسيطر عليها الحركة الشريعة بتفسيرها المتعنت.

"حوالة": نظام تحويل أموال غير رسمي يُعمل به على مستوى العالم. ويُعد في الدول التى لا يوجد فيها نظام بنكي فاعل الوسيلة الوحيدة المتاحة لتحويل النقود. يقوم من يود تحويل النقدية لشخص ما في أي مكان بتسليمها لتاجر "حوالة" محل ثقة، والذي يتواصل بدوره مع تاجر حوالة في مكان الشخص المرسل إليه، ليكلفه بدفع المبلغ إليه؛ ويقوم التجار بالمحاسبة بينهما. في أغلب الظن قامت سامية عمر أثناء رحلاتها بتسوية الحسابات و بتلقى الأموال بهذه الطريقة.

أصدقائي الأعزاء، أنتم مؤكد تتطلعون لمعرفة شعوري، أي إن كنت أشعر بالإحباط. بيكينج كانت رائعة! ولذلك لا يهم أنني جئت في المرتبة الأخيرة. فهذه ليست نهاية الطريق . سأحرز في المرة القادمة نتيجة أفضل. هكذا علي أن افكر، إذا أردت أن أصبح رياضية ناجحة. من المؤكد أن جميع أصدقائي وأفراد عائلتي قد شاهدوني من خلال التلفاز. كم اتطلع لسماع ما سيقولونه عندما التقي بهم!

سامية نور عينى! كم بديت نحيفة في التلفزيون!

ماما!

كم أنا فخورة بك!

ماما! لقد جئت في المرتبة الأخيرة.

لا يهمني ذلك! دعينا نذهب إلى المنزل!

١٨

هيا! هيا احكي لنا! كيف كانت التجربة؟

اجلسوا أخيرًا! فقد جهزت لكم بهايلا!

١٩

شعرت بفخر شديد عندما حملت راية العلم ...

هل كان هناك صِبية لطاف؟؟؟

وما أدراني أنا!

هي لا تريد أن تفصح عن ذلك!

بالتأكيد كان هناك صبية رائعين. عبدي سعيد إبراهيم مثلًا، كم هو أنيق ...!

ألا تفكرن أبدًا في شيء سوى ذلك؟؟

بالطبع! في ريهانا!!

دعينا نرقص!

آخ... أنا ... لن أرقص اليوم ...

لن تغادري هذا البلد؟ أليس كذلك؟

أقصد إلى ما لا رجعة ...

ص٢٠

أصدقائي الأعزاء

ها أنا عدت منذ أيام إلى مقديشيو. أساعد أمي في أعمال المنزل وأعتني بأبناء أختي. فهذا واجبي منذ أن ذهبت هي إلى أوروبا منذ أعوام لتجد عملًا.

أريد أن أستهل التدريب من جديد. لا تغيب بيكينج وما رأيته فيها عن ذهني. أينما كنت أتحرك هناك، كنت دومًا أرى الشعلة الأوليمبية. كانت ساطعة كالقمر.

ماما سأخرج للجري.

عليكِ أن تعودي فورًا إذا سمعتِ في أي لحظة دوي طلقات رصاص، ولا تنسي أن تأتِ معك ببعض الفاكهة، وضعي غطاء رأسك على رأسك!

حاضر يا أمي!

٢١

هاي سامية. هل أنت ذاهبة لتتمرني؟

أجل، لا يجب أن ينقطع الرياضي المحترف أبدًا عن التدريب!

لقد رأيتك في التليفزيون. أريد أنا أيضًا أن أجري.

فلنرى إذن، أينا أسرع ؟

ستفوزين!

بل ستسبقيني أنت!

٢٢

قف عندك!

ألا تعلما أنه لا يصح للمرأة أن تجري؟

سيرا كما ينبغي أن تسيرا على خُلُق!

الى اللقاء إذن ...

ألن تدخلي معي إلى المنزل؟

كلا، ... ربما مرة أخرى ...

٢٣

سلام يا مصطفى!

سامية! أنا فخور بك للغاية!

هل شاهدتني؟

لقد أحرزت زمنًا جيدًا!

جيدًا هنا، ولكنه لم يكف هناك!

توقفي عن هذا الكلام! لقد شاركت في الألعاب الاوليمبية، وذلك في حد ذاته أمر مبهر! ثم إن المنافسين كانوا يرتدون ملابس رياضة أغلى بكثير، فكان من البديهي أن يفوزوا.

قميصي كان بالفعل يعوق سرعتي، كان حجمه كبير بعض الشيء، ولكني لم أملك سواه.

ألم تنظري جيدًا إلى الآخرين؟ لقد بدوا كالماكينات. أراهن أنهم يأكلون يوميًا ستيك اللحم والسلطة.

٢٤

هم لا يعيشون مثلنا هنا.

ربما أخطأت بمشاركتي في مسابقة الـ ٢٠٠ متر. إن أدائي أفضل في المسافات الأطول.

سأفوز في المرة القادمة يا مصطفى. وسيهلل الجمهور لحصولي على المرتبة الأولى، وليس ليشجعني كي أواصل الجرى حتى خط الوصول.

أصدقائي الأعزاء، التمرين في ملعب كوننى في مقديشيو مختلف تمامًا عن التدريب في بكينج أثناء دورة الألعاب الأوليمبية. يجب أن أتوخى الحذر لكي لا أهوى. فالمضمار مليء بالثقوب التي خلقتها القنابل. كما أننا لا نحتكم على ساعات إيقاف لقياس الزمن. نأكل بعد التدريب بعض الأرز والموز.، أو ما هو متاح. كثيرًا ما نضحك، أما في بيكينج فقد كانت الأجواء أكثر جدية. كان الأمر على قدر أكبر من الأهمية. لقد أعجبني ذلك.

٢٥

كيف كانت سرعتى يا مصطفى؟

٢٦

لقد حسنتي زمنك يا سامية.

يتعين على أن اكون أكثر سرعة.

على أن أذهب الآن إلى العمل. سأراك الأسبوع القادم.

إن شاء الله!

لقد جئت معي ببعض الفاكهة.

أنت ملاك! هل لك أن تضعي مروان ومنال في الفراش؟

٢٦

ما بك يا بنيتي؟

لا شيء ماما ...

أرى على وجهك أن شيء ما يؤرقك.

صدقيني. لا داعٍ للقلق.

أصدقائي الأعزاء

أشعر بدافع قوي. لقد حسنت أدائي الزمني في مسافة الـ ٢٠٠ متر.

أقوم بعد التمرين بإخفاء ملابس الرياضة بقدر المستطاع، وأحاول أن أتفادى أعضاء الشباب، اذا رأيت أحدهم على مقربة. هم يتحكمون في الشوارع، لقد اصطدمت مرارًا ببعضهم من قبل، لاأهم يعتقدون أن المرأة لا يجوز لها الجري.

أحيانا لا أدري حين أغادر المنزل إن كنت سأعود سالمة. ولكن يجب علي أن اجري، إذ ليست لدي اختيارات أخرى.

ياه !

أوه...

ألست أنتِ التي عدوت في التليفزيون؟

٢٨

لقد شاهدناك

أنت لم تغطي شعرك.

أتظنين انه بإمكانك التصرف كما شئت، لمجرد وجودك في بلد آخر.

من الواضح أنك لا تعرفين حدودك كامرأة.

أنت بذلك تجلبين الإهانة لشعبك، للرسول، ولبلدك بأكمله.

احترسي من الآن فصاعد. فنحن نعرف عنوان سكنك.

هل علينا أن نذكرك بما حدث لأبيك؟

اتركوني لحالي ...

٢٩

أنا لست من تظنون!!!

من المؤكد ان الأمر قد اختلط عليكم ...

ما هذا الذي تقوليه؟

أتظنين أنه بمقدورك خداعنا؟

لم أظهر أبدًا في التليفزيون! أبدًا! أنا لا أدري عما تتحدثون! اتركوني لحالي!

قفي عندك!

أصدقائي الأعزاء

لقد اصطدمت الأمس ببعض أفراد الشباب المسلحين. إنهم يخيفونني بما يبدوه من تدين زائف وبتهديداتهم لي. كيف يعطون أنفسهم الحق للتصرف بهذا الأسلوب؟ تمكنت من التخلص منهم ومن الجري. وبالطبع لم يتمكنوا من اللحاق بي.

شعرت طوال اليوم بالغضب. لو كان أبي هنا، لاستطاع أن يرفع من حالتي المعنوية.

٧٤

أخيرًا نتحرك! كم طال انتظاري في الخرطوم! وأنا لا أملك متسعًا من الوقت. المكان ضيق فوق سطح السيارة بدرجة لا تسمح لنا أن نفرد أقدامنا. ولكن ما يهم هو أننا على الطريق الى طرابلس.

٧٥

ياليت مريم معي! عندما اتصل بالهاتف، سأقول إن كل شيء يسير على ما يرام.

أنا لست وحدي . طنط مريم تبعث لكم تحياتها.

لم أعد أستطيع الجلوس ...

توقف! نحن في حاجة لراحة!

أوففف ...! لن نصل أبدًا بهذا الشكل...!

أنت يا فتاة! حاولي عندما نتوقف أن تجدي لك مكان عند الحافة.

٧٦

أرأيت؟ فالموقع عند الحافة يتيح لك متسع أكبر من المكان !

أنا أعرف ما أقوله، لأنني قمت بهذه الرحلة مرارًا عديدة.

أنا لا أقصد هدفًا أبعد من طرابلس، حيث أبقى بعض الشهور للعمل، لأن الأجر أفضل من الذي أحصل عليه في أديس، ثم أعود بعدها لأسرتي في أديس.

تعود؟ أنا لن أعود، سأظل في أوروبا للعمل، لم يعد هناك في بلدي ما أعود إليه.

٧٧

لقد كنت صياد سمك في بلد الصومال.

ولكن السمك هناك كاد يندثر تمامًا. أصبحت شباكنا تبقى خاوية منذ أن صارت البواخر الكبيرة تأتي من أوروبا لتستحوذ على الصيد كله.

لا بد من وجود فرص عمل كثيرة هناك، إن كان الصيد كله ينتهي هناك.

انا ذاهب اذن حيث يذهب السمك.

٧٨

أنا ايضا أبحث عن العمل.

ربما لمدة عام أو اثنين ...

أعود بعدها بالمال الكافي ...

لأبني لأسرتي منزلًا جميلًا.

٧٩

لقد ذهب أيضا أحد أصدقاء صديق لي إلى أوروبا، و سمعت أنه عاد من هناك ثريًا.

كم هو محظوظ !

أوروبا هي الجنة. فالعمل هناك متوفر!

والناس يعمرون هناك، فتطول أعمارهم ضعف ما نحياه من الأعوام هنا!

لقد حاولت مرتين من قبل أن أصل إلى أوروبا.

٨٠

هل لدي اختيارات بديلة؟

لقد قام كل سكان القرية التي أتيت منها بجمع المال ليتيحوا لي هذه الرحلة.

سأسدد لهم ديوني مضاعفة حين أجد عمل.

في المرة الأولى قبض علينا حرس الحدود الساحلية.

أما المرة الثانية، فقد كنت بالفعل في إيطاليا عندما أوقفوني.

وقاموا فعلًا بترحيلي من هناك إلى بلدي.

٨١

ها أنا أعيد الكرة للمرة الثالثة. إن عدت من جديد فارغ اليدين، سأُعد فاشلًا في القرية.

سيبصق كل من أعطانى المال على وجهي. سأظل إذن أحاول، لا بد أنني سأنجح مرة ما في الوصول.

أنا بخير. أنا في إيطاليا. لقد عثرت على عمل جيد. سأرسل لكم المال قريبًا. قريبًا.

أوروبا ... ما من أحد ينتظرنا هناك.

من الأفضل أن تبقوا هنا.

٨٣

نحن عند نقطة ما بين الخرطوم والحدود الليبية. نتحرك بسرعة جيدة. لقد قال أحد ما أن هناك معارك جارية في ليبيا. أدعو من الله أن تسير الأمور على ما يرام.

٨٤

فليحفظه الله ...!

هيا هيا اسرعوا!

لا تغفلي، فإنهم لا يتوقفون اذا تخلف احد!

اسرعي خطاكي!

٨٥

لقد توقفت الاحاديث فوق سطح التحميل منذ أيام. ها نحن مكومين في الخلف كل على الآخر كالاغنام. ولكنني أشعر على الرغم من ذلك بالوحشة. أنا وحيدة تمامًا.
أشعر بالخوف تجاه الآخرين. لقد أوصتني مريم قبل الرحلة ألا اضع ثقتي في أحد، وأن يظل وجهي دومًا ملفحًا.

متى سمعت آخر مرة أحد يضحك؟ كم أنا مشتاقة للأطفال، لأمي، لداري. تُرى أين انا؟ ومتى سيتاح لي أن أبعث رسالة؟

٨٦
ماذا حدث ...؟

٨٧
لقد هوى أحدنا من فوق سطح العربة!

وقف العربة!

لم نعد نملك الوقت لذلك.
كما أن المكان سيكون أكثر سعة لكم .

قف عندك!!

يا للعنة..!

هيا! هيا! اجري!
٨٨
هه... هه هه ..
انتبهي!